النظم التربوية العربية في المؤسسات التعليمية " الواقع والآفاق "

أ. أمينة سعود
كلية الآداب واللغات
جامعة الجلفة

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التأكيد على أهمية دور التربية المستفادة من المؤسسات التعليمية العربية في حياتنا، سواء تعلق الأمر بالاجتماع، أو بالاقتصاد، أو بالسياسة، أو بالفنون. فكل هذه القطاعات يسيرها الإنسان. وهذا الإنسان نفسه، صناعة تنتجها التربية، وتخرجها في صورة ما، وفق نظم هذه التربية وتوجهاتها، فمتى صلحت أهدافها، واستقام أمر القائمين عليها، صلح نتاجها الإنساني الذي يدير كل مناحي الحياة. وإدارته إنما تصدر عن علمه، وثقافته، وأخلاقه، التي يفترض من التربية أنها غرستها فيه منذ الصغر، إلى أن بلغ مبلغ اتخاذ القرار وتنفيذه.

وحتى يعم الصلاح والتقدم، بات من الضروري، إعطاء الأولوية إلى أم الصناعات، ألا وهي صناعة جوهر الإنسان، دون إغفال الإفادة من العلوم الحديثة. فيحيا الإنسان في ظل مجتمع يصعد إلى العدالة والازدهار، ولا ينحدر إلى المظالم والتخلف. وتصويب أخطائها، وتعزيز دور المربي، وفق ما يخدم مصلحة الفرد والمجتمع معا.

Résumé:

Ce présent exposé vise à mettre en évidence l'importance de l'éducation dans la vie humaine, que se soit du coté sociologique, économique, politique, artistique etc. … car tout ces domaines sont crées et dirigés par l'homme qui fait le sujet de l'éducation selon des systèmes des voies spécifiques.

Donc, l'homme qui produit les différents aspects de la vie et qui se base, dans le parcours de cette production, sur ses connaissances, sa culture et ses morales afin d'avoir le pouvoir de la décision n'est que la production directe d'une bonne éducation, une éducation disciplinée.

Et pour que la prospérité et le progrès se généralisent sur touts les aspects de la vie humaine, il est nécessaire de donner l'intérêt prioritaire à la production et la fabrication de l'être humain par la formation de son comportement en consolidant ses morales cote à cote avec l'apprentissage des sciences et l'acquisition de la connaissance afin d'avoir une société juste et prospère.

Pour cette fin, il est impératif de corriger les défauts de notre système éducatif et de consolider le rôle de l'instituteur afin de bien servir l'intérêt de l'individu ainsi que la société.

مقدمة:

لطالما احتاج السلوك الإنساني إلى ترشيد وتوجيه في مناحي الحياة المختلفة العلمية والاجتماعية والدينية ، خاصة في ظل المتغيرات التي يشهدها العالم يوما بعد آخر ، وتعد التربية والتعليم مطلبا إنسانيا ، وأحد أبرز مظاهر التحضر ، وفي هذا السياق تطرح الإشكالية : هل التربية التي تتلقى في المؤسسات التعليمية العربية ، كفيلة بصناعة الإنسان المنشود ، الذي سيوكل إليه خوض غمار الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية، والثقافية ، والفنية ؟

و تنبثق عن هذه الإشكالية هذه الأسئلة :

ما هي أنواع وغايات التربية في المؤسسات التعليمية ؟

كيف ينظر المعلم المربي إلى نفسه، وكيف ينظر المجتمع إليه؟

وهل تتماشى خطط نظمنا التربوية مع احتياجات، وتطلعات،وخصوصية مجتمعنا العربي ؟

1- تعدد تعاريف التربية:

التربية هذه الكلمة ذات التأثير الكبير على شعوب الأرض، والتي تقرر مدى رقي ونهضة الشعوب، لها تعاريف عالمية مختلفة بحسب النظرة إلى الحياة.

يرى "أفلاطون" الفيلسوف اليوناني: :أن التربية هي إعطاء الجسم والروح، كل ما يمكن من الجمال والكمال" أي بلوغ النفس كمالها، وهو رأي "أبو حامد الغزالي".

ويرى "جيمس ميل" الفيلسوف الانكليزي: "أن التربية هي إعداد الفرد ليُسعد نفسه أولا، وغيره ثانيا:.

ويحدد "هيل" التربية فيقول: "إنها تلك التي تحفظ الصحة البدنية للتلميذ، وتمكنه من السيطرة على قواه العقلية والجسمية، وتزيد في سرعة إدراكه وحدة ذكائه، وتقوده إلى أن يكون رقيق الشعور، يؤدي واجباته بذمة وضمير".

ويرى "هربرت سبانسر: أحد فلاسفة التربية الانكليز: "أن التربية هي إعداد الإنسان ليحيا حياة صحيحة"[1].

ويمكن القول "إن التربية هي مساعدة جميع قوى الفرد وملكاته على النمو، للانتقال به من الطفولة إلى الرجولة الحقة، متشبعا بالصحة الجيدة، والخلق الكريم، والتفكير الصحيح"[2].

ومفهوم التربية عند "فروبل" أنها عملية نمو، وتطور، ورقي نحو السمو والكمال الروحي، أو الوحدة المقدسة، وقيادة الطفل نحو تنمية نفسه، أو مساعدته بوسائل على النمو الذي يشمل جسمه، وعقله، ووجدانه.

أما التربية عند "جون ديوي" والذي يعد من أعظم رجال التربية في العصر الحديث، "فهي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة الذي يزيد ف معناها، وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية، هي الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو وعملية تعلم، وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة، وعملية اجتماعية. ولتكون التربية عملية حياة، لابد أن ترتبط بشؤون الحياة، ولتكون عملية اجتماعية، لابد أن تتضمن تفاعلا اجتماعيا، وأن تتم في جو ديمقراطي، وجو اجتماعي صالح".

---

1 - غضاضة أحمد مختار. **التربية العلمية التطبيقية في المدارس الابتدائية والتكميلية**. (لبنان: مؤسسة الشرق، 1962)، ص 115.

2 - المرجع نفسه، ص 116.

وقد ركز "هربارت فريدريك" على طريقة التعليم، وتمثل خطوات الدرس أو مراحل الدرس وهي: التمهيد، العرض، الربط، المعرفة، التطبيق. أما الأهداف الأساسية للتربية في نظره فهي:

1- تكوين الأخلاق الحسنة، وغرس روح الخير والفضيلة

2- النمو الشامل الكامل المتناسق[1].

والمدرسة اليوم، بحاجة إلى مدرسين مربين، لا إلى ملقنين فقط، فالمعلم ينتهي دوره عند تلقين وتزويد الآخرين بما توفر لديه من علم ومعرفة، بينما المربي لا يتوقف عند حدود تلقين المعلومات والمعارف، وإنما يعمل جاهدا لإحداث التغيير في ذهنية الطفل بملء الفراغ، وتطوير التفكير، وتنمية الخصال، وغرس الأخلاق الاجتماعية ..[2]

2- تعدد غايات التربية:

تحتل الأهداف في منظومة العلمية التربوية الحديثة، مكانة أساسية، لأنها تمثل مجموعة القيم، والاتجاهات، والقدرات، والمعارف، والمهارات التي يتضمنها النظام التربوي، ففي ضوء الأهداف يتحدد كل شيء في التربية، ولاسيما محتوى المناهج، الذي يحدد بدوره سلوك المعلمين والمتعلمين تجاه بعضهم من جهة، وتجاه البيئة الطبيعية والاجتماعية من جهة أخرى.

لذا يرى البعض أن الهدف هو تربية العقل، ويرى فريق آخر أن الغاية منها هي تربية الشخصية، وفريق يرى أنها تربية الخُلف، وآخر أن الغاية منها تعويد الفرد الاعتماد على نفسه، ورأى آخرون أن الهدف هو كسب العيش[3].

إن هدف التربية هو إعداد الفرد ليعيش حياة متوازنة، بحيث يكون قوي الجسم، كامل الخلق، صائب الفكر، يعرف كيف يتعاون مع غيره، ويُقدر الطبيعة وما فيها من جمال، ويدير شؤونه بنفسه، ويقوم بواجبه نحو أمته ووطنه، وينتفع بما وهبه الله من مواهب في سبيل منفعته ومنفعة غيره[4]، فالإنسان هو محور العملية التربوية، والتربية بهذا المعنى هي صناعة جوهر الإنسان.

"وهدف التعليم ليس مجرد نقل معلومات، بل هو إعداد الفرد للحياة، من خلال تربية العقل، والخلق والوجدان، لأجل أجيال صالحة"[5]. والتعليم حاجة من حاجات الوجود الإنساني المتحضر، وهو نشاط يديره المعلم في إطار تفاعلي بينه وبين المتعلم، خلافا لما كان سائدا في النظام التقليدي، فلقد كان التعليم موكلا بالمعلم منفردا، أما في ظل النظام التقدمي، فإن المتعلم مشارك إيجابي، ومهارة المعلم تتمحور حول تمكنه من مادته التعليمية، ومن طرقة تقديمه لهذه العلمية، فضلا عن شخصيته التي تسم كل ما يصدر عنه.

3- علاقة التربية بالتعليم:

"كثيرا ما يجري الخلط بين كلمتي التربية والتعليم، في حين أن التربية هي إعداد الفرد لأن يعيش حياة صحيحة في مجتمعه، وهي تشمل النواحي الجسمية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، والوجدانية، والجمالية، بينما التعليم هو جزء من التربية العقلية وحدها، ويرمي إلى كسب المعرفة، والمهارة، والدراية، بعلم

1 - العلوي محمد الطيب. **التربية والإدارة بالمدارس الجزائرية**. (الجزائر. دار البعث للطباعة، 1982)، 52- 53.

2 - المرجع نفسه، ص 18.

3 - المرجع نفسه، ص 121.

4 - المرجع نفسه، ص 123.

5 - كبريت، سمير محمد. **منهاج المعلم والإدارة التربوية**. (دار النهضة، 1998)، ص 26.

من العلوم، أو فن من الفنون، أو صنعة من الصنائع. وهكذا فالتعليم جزء من كل، بينما التربية هي أعم وأشمل.

والمدرسة اليوم، بحاجة إلى مدرسين مربين، لا إلى ملقنين فقط، بينما المعلم الواعي، باستطاعته أن يكون مربيا في كل حين. وعملية الإنتاج التربوي تتطلب من كل فرد في الجهاز التعليمي أن يعرف دوره، ومدى ارتباط هذا الدور بأدوار ومهام الآخرين، كي تعيش المدرسة انسجاما كاملا، وتفاهما متبادلا، وتعاونا مشتركا لا تعاني فيه التربية تفككا[1].

إن "التعليم في أساسه عملية اجتماعية، ومظاهر التعليم ووظائفه ينبغي أن تتجاوب مع الحاجيات المتغيرة للإنسان"[2] فالمدرسة مجتمع أفراد، ذو علاقة بأوجه من الحياة الاجتماعية"[3]. إذ لا يمكن فصل أو عزل المدرسة عن الحياة، بل يفترض منها أنها أداة لتحسين الحياة، والارتقاء بها من درك التخلف، إلى سلم التحضر العقلي، والسلوكي، والثقافي والاجتماعي. إنها وسيلة هامة من وسائل تنوير الفكر الإنساني عبر العصور، والتاريخ شاهد على هذا، فمتى ازدهر العلم تواجدت الحضارة . يقول محمد عبده: "إن العلم إذا انتشر في قوم، أضاءت لهم السبل، واتضحت المسالك، وميزوا الخير من الشر، وقويت قلوبهم على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم، فيدركون لأول وهلة، أن لا دوام لما وصلوا إليه ولا ثبات، إلا إذا تأيد بينهم، شأن المعارف الحقيقية، وعمت التربية سائر أفرادهم، فيقدمون بكليتهم على الأخذ بالأسباب المؤدية إلى انتشار العلوم، وتعميمها في سائر الأنحاء"[4].

ومهنة التعليم وظيفة رائعة، يتمتع بها المعلم متى أدرك أهميتها، فالتعليم يعطي المعلم شعورا بالإنجاز، ولقاؤه بالمتعلمين هو بمثابة لقاء بالحياة والمستقبل، لذا لا ينبغي أن يشعر المعلم بمشاعر سلبية تجاه مهنة التعليم، بالرغم مما يحاك ضد التعليم وأهله من انتقاص، وتنكيت، وتهم باللاجدوى، إن هي إلا تهم باطلة أفرزتها روح الانهزامية، والعجز، واجترار القيل والقال بين أوساط الجهلة، قال تعالى: "يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، وقال (ص): "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل الله على العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينار ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه بحظ وافر" . وعمل ابن آدم ينقطع إن هو مات إلا من ثلاث إحداها: علم ينتفع به.

إن ضعف المعنويات، أو انهيارها لدى بعض رجال التعليم، لهو أمر غاية في الأسف، لاسيما حين يقارنون بينهم وبين غيرهم في القطاعات الأخرى. وقد يُجري بعضهم هذه المقارنة على أساس خاطئ من الأصل، إنه لا يوجد أشرف ولا أجل من صانع العقول، ومُعد الأجيال، فمسؤوليته جسيمة، ومكانته في المجتمع عظيمة، واعتباره الأدبي يفوق كل اعتبار مادي، وكل مقياس عادي، يقول "جان جاك روسو" : "الحق أن الذي يصنع الرجال، يجب أن يكون أكثر من رجل". لابد من إعادة الثقة لدى المربي المعلم، وأن يعتد بدوره، ويعي خطورته، فالمعلم صورة للمجتمع، فكما يكون المعلم يكون المجتمع، وإذا أردنا أن نكوّن المعلم الناجح، فإن أول واجب على

1 - العلوي، محمد الطيب. **التربية والإدارة**، ص 11- 12.

2 - أولسن أدوارد. **المدرسة والمجتمع**. تعريب: زكي، أحمد. (مؤسسة المطبوعات الحديثة)، ص 23.

3 - ديوي، جون. **المدرسة والمجتمع**. ترجمة: حسن أحمد. (بيروت، دار مكتبة الحياة)، ص 57.

4 - الساحلي، محمد عزيز. **قضية التربية والتعليم من خلال فكر زعماء الإصلاح**. تقديم: الشاذلي، محمد، 1995، ص 10.

المجتمع نحو هذا المعلم، الذي نطمع لأن نحوله إلى مرب، أن يعيد له اعتباره، واحترامه، ووزنه، مادام مجتمعا يتطلع نحو الكمال وينشد الرخاء[1].

4- أنواع التربية:

ولأجل تحقيق هذه الأهداف، على المعلمين إتباع المبادئ الخاصة بكل نوع من أنواع التربية: الجسمية والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، والجمالية. كما يفترض من النظم التربوية، مراعاة طبيعة الطفل، وتكوينه فكريا، ونفسيا، وجسميا، وجماليا في إطار تكامل الشخصية. وحددت الأهداف والمثل العليا التي تتطلع إليها: عقائديا، واقتصاديا، واجتماعيا وثقافيا، وسياسيا. كما أنها ركزت على الجانب العملي في كل المواد المقررة، وذلك حتى تتمكن من إعداد الطفل للحياة العملية بعد مغادرة مقاعد الدراسة، وبعد أن يكون قد تحصل على تكوين أولي متين يؤهله إلى تكوين أعلى، أو المساهمة في الحياة العامة:[2].

4- 1- التربية الخلقية في المدارس:

إنه مع اعترافنا بأهمية التربية الخلقية، إلا أن المدارس درجت على اعتبار علامات السلوك والتهذيب، غير داخلة في علامات الدروس، وهذا يقلل من أهمية التربية الخلقية. والمفروض جمع علامات السلوك مع سائر العلامات التعليمية[3].

إن "المدرسة مجموعة تربوية، يعيش ويتطور التلميذ بين أفرادها، ويجب أن تتوفر فيها جميع الظروف لإكمال التربية التي يتلقاها من العائلة وتيسير الحياة الجماعية، وبث حب الوطن والعمل، وخلق روح الجماعة واحترام الغير. "فالمدرسة هي المزرعة التي تنبت فيها البذرة الاجتماعية الأولى بعد الأسرة، فإذا أردنا تكوين المجتمع الصالح، وتنشئة المواطن الصالح، فلنتعهد كل ذلك بالمدرسة لا خارجها، وإذا أردنا محاربة الآفات الاجتماعية، فلنحاربها جراثيم صغيرة تحوم حول الأطفال، قبل أن تستفحل وتتأصل، ويتعذر علاجها والتغلب عليها، لأن الجراثيم متى وجدت معقلا حصينا، تمكنت"[4].

إن الشعور الحاد لدى أبناء الوطن العربي بأن في تراثهم الماضي، وتجربتهم الحاضرة، ما يؤكد السمات الخاصة للثقافة العربية ويستلزم أن يكون مستقبلها، موصول الصلة بماضيها وقيمها"[5].

4- 2- التربية الجسمية في المدرسة:

"إن التمارين التي يقوم بها التلاميذ بإشراف معلميهم الذين يلمون بمبادئ الرياضة، تؤلف وسيلة من الوسائل المساعدة على تنمية العضلات، وتقوية الأجسام حتى تصل إلى حدها الممكن من النمو، وهذه التمارين تكسب الأطفال قوة في أعصابهم، واعتدالا في قوامهم، واتساعا في صدورهم، ونشاطا في أعمالهم .. وقد ثبت في علم النفس أن ما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل، وما يؤثر في العقل يؤثر في الجسم". لكم المدرسة تفتقد إلى الملاعب والأدوات الرياضية، ويكاد ينعدم فيها التفتيش الصحي المنتظم لتلاميذ المدارس، كما أن منهج التعليم

1 - أنظر المرجع نفسه، ص 13، 17، 20.
2 - المرجع نفسه، ص 240.
3 - المرجع نفسه، ص 129.
4 - المرجع نفسه، ص 223.
5 - عبد الدايم، عبد الله. **التربية في البلاد العربية**. (بيروت: دار العلم، 1983)، ص 747.

يقضي بعدد ضئيل من الساعات للقيام بالتمارين الرياضية، والتي يغلب عليها العشوائية، وعدم الدراية بأسرار الجسم"[1].

4- 3- التربية العقلية في المدارس:

ليس الهدف من التربية العقلية ما هو شائع من حفظ المعلومات الموجودة في الكتب غيبا، لأجل أن تذكر في الامتحانات، ثم تنسى بعد النجاح، إذ يفترض أن الامتحان وسيلة وليس هدفا، بل الهدف هو كسب المعرفة، وتهذيب قوة الإدراك، وتنمية الخيال، وتقوية الإرادة، وإحياء الشعور، وتكوين عادات الانتباه والمواظبة، والإخلاص في العمل. أي التمرين على كيفية فهم الحقائق التي تحيط بنا، تمهيدا للانتفاع بها في الحياة العملية. ولا يكون ذلك إلا بالاعتماد على الإرشاد والتشويق. وتعويد المعلم الاعتماد على نفسه في التفكير، والتعبير عن أفكاره بوضوح، والانتفاع بالمعلومات في حياته اليومية العملية بعد المدرسة، والمدرسة بهذا المعنى، معبر لمدرسة أكبر هي الحياة.

إن حشو عقول التلاميذ بالمواد دون التفكير في الطريقة، أو في سن الطفل، ومقدرته العقلية، وميوله. وتخصيص عدد كبير من الساعات المدرسة بشكل زائد عن الحد، للمواد التي لها علاقة بالتربية العقلية فقط، يؤدي إلى إرهاق العقول بها كالحساب، والهندسة، والجبر، والقواعد. والابتعاد بالتلاميذ عن المواد المتصلة بالحياة. بينما الهدف هو إتقان الطريقة التي تساعد على الفهم والإدراك، لا التزويد بالمعلومات وحدها[2]. وفي هذا السياق يقول "ابن خلدون" في مقدمته: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا، إذا كان على التدريج شيئا فشيئا، وقليلا قليلا، ويقرب له في شرحها ويراعى في ذلك: قوة عقله، واستعداده لقبول ما يورد عليه"[3].

4- 4- التربية الاجتماعية في المدارس:

إن المنظومة التربوية جزء لا يتجزأ من المجتمع، وكل مجتمع ينتظر من المدرسة أن تسعى إلى إيجاد نمط من المواطنين، تماشى وفلسفة ذلك المجتمع، وأخلاقه، ومعتقداته، ونظامه السياسي، والاقتصادي. وهذا النمط المراد تحقيقه، يتجلى من خلال الأهداف المرسومة.

وإذا أردنا أن نعرف مدى نجاح التربية الاجتماعية، ألقينا نظرة على محيطنا الاجتماعي، فهل ترانا نجد مظاهر تدل على التحضر أو على التخلف الاجتماعي؟ من هنا نعرف المستوى التربوي الحقيقي.

إن مهمة المربي في المدرسة، هي غرس وتثبيت المبادئ لاجتماعية، التي يفترض أن يتلقاها التلاميذ في البيت أولا، من خلال تعليم الآداب الاجتماعية ، فيعرف واجباته نحو نفسه ونحو مجتمعه[4]. والمربي الناجح، يمكّن متعلميه من التمتع بالقدرة، والقناعة، والاحترام الذاتي للنفس، والقوة، والعزم في مواجهة التحديات[5]. إنه يغرس في نفوس النشء، القيم الرفيعة والضمير الحي.

"إن مهمة المربي دوما نبيلة جليلة، لأنها حاجة الإنسان في كل عصر، على المربي أن يعي مهمته التي هيأه القدر لها، وأن يتعرف على تطورها من خلال العصور، لأن التربية ليست موضوعا جامدا، بل هي موضوع

1 - المرجع نفسه، ص 124.
2 - المرجع نفسه، ص 126.
3 - ابن خلدون. **المقدمة**. (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، 695.
4 - المرجع نفسه، ص 131.
5 - المرجع نفسه، ص 133.

نام، قابل للتطور، وخاضع لعوامل ومؤثرات: الأمن، الاقتصاد، النظام السياسي، الوضع الاجتماعي". ويفترض بالمربي أن يتمتع بشخصية قوية مؤثرة، تترك آثارها وبصماتها في الغير. وقوة التأثير هذه، هي التي جعلت المربين في مختلف العصور والأصقاع، يحدثون التغيير الكبير الذي يعيشون فيه، ويطلق عليهم أحيانا رواد أو مصلحون. "فـ" المربي" يؤثر في تلاميذه وأوليائهم، وفي المحيط الذي يعيش فيه، إن كان ممن يتمتعون بشخصية قوية، خاصة إذا توفرت فيه خصائص أو صفات جذابة. وأهم هذه الصفات: سعة الاطلاع،والرغبة في مهنة التدريس، والمعلم يعلم بسلوكه وتصرفاته، أكثر مما يعلم بأقواله وأفعاله، والسلوك أسرع تاثيرا في الطفل، وأرسخ في ذهنه"[1]. يقول "أحمد أمين" واصفا تجدُر خبرة خبرة المدرسة والمُدرسين في نفسه وذاكرته" "تعلمت من المدرسة دروسها، وتعلمت من التجارب أكثر من دروسها. فلعبي مع التلاميذ، ومبادلتي إياهم العواطف، ورؤيتي إياهم يتصرفون، كل هذه كانت دروسا في الحياة، أكبر أثرا من دروس العلم، بل المدرسون أنفسهم، كانوا معرضا لطيفا فيه الجمال، وما شئت من ألوان الحياة"[2].

4- 5- التربية الجمالية في المدارس:

ترمي التربية الجمالية إلى تعويد التلاميذ حب الترتيب والنظام، والاعتناء بما يحيط بهم، وتجميل بيوتهم وشوارعهم. وتشجيع الفن الراقي، والرسم، والموسيقى، والاستمتاع به، وتنمية الذوق الرفيع في اختيار الأشياء، بعيدا عن التقليد الأعمى. وعلى مستوى المدرسة، يفترض من المربين، تنمية أذواق التلاميذ، وإشعارهم بجمال القطع الشعرية مثلا والنثرية، وتحسس مواطن جمالها فكرا، وأسلوبا، وحسن وقعها على النفوس. بالإضافة إلى دروس الرسم، والموسيقى، والخط، مع مراعاة النظام، والدقة، والترتيب. بالإضافة إلى حُسن تأثيث غرف التدريس، وتزيين جدرانها وأبنية المدارس[3].و يجدر بالمعلمين أن لا يفصلوا أحد أنواع التربية عن الآخر، بل أن يعتنوا بها جميعا بانتظام. وأن يسعوا إلى تحقيق الأهداف التربوية من كل درس يلقونه.

5- التربية والتنمية:

التربية عملية استثمارية وليست بعملية استهلاكية كما يتصورها السطحيون من الإداريين، والمخططين، والاقتصاديين. وما دامت عملية استثمارية فإن لها عائدا، وعائدها يعتبر أثمن عائد اقتصادي، إذ يتمثل في الطفل الذي تشكله التربية، ويهيئه التعليم شابا، أو رجلا يبني المصنع، ويسير المعمل، ويصنع الآلة، ويقدمها للمجتمع، إنتاجا جاهزا. لذا يعتبر العمل على ازدهار الإنتاج التربوي، عملية اقتصادية، وطنية، أساسية.

"لقد أصبحت العلاقة بين التربية، والتنمية الاقتصادية، والاجتماعية واضحة، ومعروفة لدى الباحثين والعلماء، في شتى حقول المعرفة. فمن الظواهر التي أصبحت أشبه بالمسلمات، التي لا تحتاج إلى مزيد من البحث والاستقصاء، فهي الدور الإيجابي الذي تلعبه التربية في التنمية، فالتربية أخذت لأول مرة تاريخ البشرية ، تسبق في تطورها على الصعيد العالمي، التنمية الاقتصادية. ولو استعرضنا البيانات، والإحصاءات الخاصة برفع الدخل القومي، وارتفاع المستوى، وازدهار الإنتاج عن طريق التربية، سواء في العالم الاشتراكي أو في العالم الرأسمالي، لعثرنا على نتائج ذات قيمة، تؤكد على أهمية التربية، وضرورة العناية بها، واستغلالها كوسيلة للتنمية.

---

[1] - العلوي، محمد الطيب. **التربية والإدارة**: ص 38، 58- 60.

[2] - أمين، أحمد. **حياتي**. ص 35.

[3] - إبراهيم، مجدي عزيز. **مهارات التدريس الفعال**. (مكتبة الانجلو مصرية، 1997)، ص 7.

إن التنمية في الأصل والأساس عملية غايتها الإنسان، وأداتها الإنسان نفسه، والإنسان بفكره، وعقيدته، وصحته، ومهارته، عماد التنمية ومحركها الأول، حتى العوامل الأخرى التي لابد منها في التنمية مثل رأس المال، والتنظيم، والإدارة، قوامها الإنسان نفسه. ومن ثمة فإن أساس التنمية في أي مجتمع، هو تنمية القيم والعقول، والمهارات. لهذا نلاحظ أن المجتمعات المتطورة، تتحكم عن طريق الإنسان، في البيئة المحيطة بها، وتستطيع بواسطته استغلال ما في المحيط من موارد، وثروات وإمكانات طبيعية، وصناعية. بينما المجتمعات المتخلفة التي لا تدرك أهمية الإنسان، قد لا تدرك خصائص العناصر الطبيعية المحيطة بها حتى تستغلها، وإذا أدركت الخصائص، فإنها لا تملك الوسائل العلمية والفنية التي تؤهلها لاستغلال الثروة الكامنة فيها، فالإنسان في المجتمعات، لم يعد مجرد فرد يمثل رقما منعزلا، وإنما هو في عصرنا الحاضر، يمثل مقياسا للتطور أو التخلف، إذ من خلاله، نتعرف على مكانة المجتمع، متطورا أو مختلفا"[1].

6- المآخذ على النظم التربوية:

لا شك أن أي نظام وضعي لا يخلو من أخطاء، فتلك طبيعة بشرية، لكن المسعى هو التقليل من هذه الأخطاء وتلافيها، وذلك متى تبين عدم نجاعتها فعليا في تحقيق الأهداف المسطرة سلفا، لذا كان لزاما تخليص نظمنا التربوية من الشوائب التي نرصدها فيما يلي :

6- 1- انحسار دور التربية في نقل المعلومات، والتدريب على قدر من المهارات. وسيطرة العلوم التجريبية على العلمية التعليمية، نظرا لما تحققه من نجاح مادي، وقوة، وانتصار على الأمراض، وكشف جزء من المجهول. مما أدى إلى الافتتان بها والتركيز عليها، وتراجع التعليم الأخلاقي شيئا فشيئا، وبالتالي عدم التوازن بين المادة والروح، مما أفرز إنسانا ماهرا، غير ملتزم أخلاقيا. وهو ما أدى إلى الأزمات العالمية الراهنة[2].

6- 2- فقدان الرغبة الحقيقية في التعلم، وتحديد الهدف فقط في الحصول على المؤهل، لاستخدامه كوسيلة للوصول إلى وضع اجتماعي ومالي أفضل[3]، ليأتي الامتحان الكتابي في المقام الأول قبل التعليم، إذ إنه الأسلوب الأساسي في عملية التقويم، وصار الغش فيه أمرا شائعا، له كل المبررات عند الطالب، كذلك فقد بعض الأساتذة صفات القدوة الحسنة، وتخلوا عن دورهم القيادي، وبذلك ضاعت الصفات الأساسية لكل من المعلم والمتعلم، فخرج حاملو الشهادات، بغير تعليم حقيقي، وبغير تربية صحيحة، يظهر ذلك جليا في تدني مستوى خريجي التعليم، أي الكم على حساب الكيف، وفساد المجتمعات التي تدعي التحضر، في عالم تحكمه المادة، وما يصاحب ذلك من الأطماع والمخاوف[4].

6- 3- إتباع نظم تعليم تقليدية، أو مستوردة، غريبة عن مجتمعاتنا، لا تتلاءم مع مشاكل وإمكانيات البلاد المستوردة لها، وبالتالي تؤدي إلى أن المتخرجين، ونوعياتهم، وأعدادهم، وتخصصاتهم، لا تتناسب مع احتياجات المجتمع وتطلعاته، مما يؤدي إلى البطالة. وبالتالي

---

1 - العلوي، محمد الطيب. **التربية والإدارة**: ص 12، 226.

2 - النجار، زغلول راغب محمد. **أزمة التعليم المعاصر**. (الكويت: مكتبة الفلاح، 1980)، ص 63، 177.

3 - المرجع نفسه، ص 176.

4 - المرجع نفسه، ص 10- 11.

إلى المشاكل النفسية والاجتماعية، مما يهدد كيان المجتمع[1]. لذا يتوانى البعض في طلب العلم، كرد فعل للتثبيط الذي يجابه المتخرجين من الجامعات، إثر عدم حصولهم على مناصب عمل، وفي هذا يقول العقاد: "فلتكن أزمة، وليكن خطر، فإنما خُلقت الأزمات لمن يفرجونها، وخُلقت الأخطار لمن يكافحها، وعلى الجيل المقبل، أن يضطلع بأزماته وأخطاره، ويخرج منها أصلح وأقوى مما كان، مادام صالحا للبقاء، قويا على احتمال الصدمات، فإذا سئلنا عن شعار نتخذه لسياسة التعليم، فالشعار الوحيد الذي لا نتردد فيه هو: علموا وعلموا كل شيء، علموا كل إنسان، وأتركوا الأزمات لقوم متعلمين، فذلك خير من أن تتركوها لقوم جهلاء". "إن التوسع التربوي المطلوب من أجل تحقيق غايات التنمية، ينبغي أن يسير في أعداده، ومحتواه، وأشكاله، سيرا منطلقا من تلك الغايات متفقا معها، متناغما وإياها، وهكذا بدأت المحاولات جادة في سبيل تنويع التعليم، ونشر التعليم الفني. والمهني، وبث التربية العلمية التكنولوجية، وربط المدرسة بالعمل والحياة، فضلا عن رسم سياسة للالتحاق بأنواع التعليم، والانتساب إليها، مبنية على أساس حاجات سوق العمل، ومطلب إعداد الطاقة البشرية اللازمة للصناعة، والزراعة، والإدارة، وسواها."[2]

6- 4- تولي غير ذوي الخبرة والاختصاص أمور التشريع التربوي.

6- 5- تراجع التعليم الديني والتربية الأخلاقية. فالتباين بين بني البشر، لا يمكن ضبطه إلا بعقيدة سليمة، تحكم الإنسان من الداخل، وتوقظ ضميره، وتنظم سلوكه، كما لا يستطيع أي قانون وضعي أن ينظمه[3].

6- 6- تضييق الاختصاصات، وغفلة البرامج الدراسية عن قضايا مجتمعاتها الهامة، كالحروب، والتلوث، والعنصرية، والانفجار السكاني، والجهل، والجوع، والتحلل الأخلاقي، وتفكك الأسرة. وإقصاء التربية لمثل هذه القضايا الكلية، هو في حد ذاته إهدار لقيمة العلم، ولدور المتعلمين[4].

"لقد عجز المجتمع العالمي، عن أن يقدم أي نموذج ثقافي جدير بأن يحتذى، وشعوره بعدما لحق به من أزمات وما رواده من عجز، بان النموذج الثقافي لابد أن يأتي نتيجة لتفاعلات الثقافات الخاصة، والعطاء المتفرد الذي يمكن أن تقدمه كل منها. والتهديد الذي يواجه الثقافات الخاصة نتيجة لغزو الحضارة العلمية التكنولوجية حاملة معها شوائبها ومشكلاتها،وتزايد الشعور بضرورة حماية هذه الثقافات الخاصة، بقيمها الأصيلة، من آفات الاستلاب والاغتراب، لذا ينبغي إدراك أن التربية المجلوبة عجزت أن تقدم حلا لمشكلاتها، وأن توفر الشروط اللازمة للتنمية العربية الذاتية، وإدراكها بوجه خاص، أن التقدم اللازم لدخول الحضارة العلمية من بابها السليم، يستلزم توافر شرطين متكاملين: أولهما قيام التربية بتوفير المهاد العلمي التكنولوجي اللازم للتنمية، وثانيهما تعبئة الإرادة القومية من أجل التقدم والتغيير والتطوير، مما لا يتم إلا إذا قدمت التربية في الوقت نفسه، المهاد القيمي الذي يجمع

1 - المرجع نفسه، ص 16.

2 - عبد الدايم، عبد الله. **التربية في البلاد العربية**. ص هـ.

3 - المرجع نفسه، ص 58.

4 - المرجع نفسه، ص 178.

أبناء الأمة ويشهدهم إلى أهداف قومية، وروحية، وإنسانية، يؤمنون بها، ويتخذونها منطلقا للجهد الذي يبذلونه، من أجل التطوير والتغيير."[1]

"إن للمدرسة غرضا تؤديه، ومهمة تقوم بها، عرفت في الماضي بأنها مؤسسة تقوم بعملية التعليم فقط، غير أن العالم الذي شهد حضارات تزدهر وتندثر، وعرف مجتمعات ناجحة وأخرى فاشلة، طور مهمة المدرسة، من مؤسسة محدودة المهام، إلى مؤسسة اجتماعية وطنية، بالإضافة إلى كونها مؤسسة تعليمية تربوية، تؤثر بإشعاعها ومعارفها، وتتأثر بما حولها من مقومات، ونظم، وعادات، ومعتقدات. واقتضى هذا التطور، خروج المدرسة من عزلتها، وأرغمتها على التعامل مع المجتمع، فتستلم الطفل مادة خاما، وتصوغه صياغة ملائمة، وتعيده من جديد للمجتمع، شخصية متكونة، وفردا متوازنا، ومواطنا صالحا، يسعد الأسرة، ويدعم المجتمع، ويشرف الوطن، وبذلك لم يعد التعليم بالمدرسة الحديثة، إلا وظيفة عادية من وظائفها العديدة، أو عنصرا واحدا من عناصر كثيرة تقوم بها المدرسة الحديثة."[2] وعن أهمية المدرسة والتعليم يقول الإبراهيمي: "إن سبيل القويم الذي يؤدي على حفظ الجيل من الشرور، وإلى توثيق عرى الأخوة بين أفراده، وإلى توحيد أفكاره، ومشاربه، واتجاهاته، وإلى تصحيح فهمه للحياة، وتسديد نظرته إليها، وتشديد عزيمته في طلبها، هو المدرسة التي تصقل الفكر، والعقل، واللسان، وتسيطر عليها. وغاية التعليم، هي تفقيه النشء في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه، معرفة تاريخية ففي هذه الغاية نجتهد ونكدح، وللوصول إليها نعمل، وفي العمل لها، نلقى الأذى، وفي الأذى، نلقى راحة الضمير واطمئنان النفس وببلوغها، نكون قد أدينا الأمانة"[3].

الخاتمة:

إن التنمية الحقيقية تقتضي نجاحا مزدوجا وعمليا على المستوى الأخلاقي والعلمي، والتربية الشاملة هي التي تتضمن التعليم والتهذيب معا، تعليم كل شيء أتت به المدنية الحديثة في كنف التكنولوجيا الحديثة، يرافق ذلك غرس الضمير الحي الذي يضبط معاملات الإنسان . والعلاقة وطيدة بين التربية والتعليم، فالمؤسسات التعليمية ، تُخرّج الأجيال ، من خلال ما يمارس فيها من أنواع تربوية .

وفي ظل هذا الدور الخطير للتربية في مؤسساتنا التعليمية، كان على المجتمع العربي أن يعي مهمة المعلم المربي، وأن ينظر إليه بعين الإجلال والتقدير. وفي الوقت نفسه، على المعلم المربي، أن يعتد بنفسه، ويعلم أن ما يقوم به من عمل، يتجاوز كونه مهنة عادية، ذات أجر مادي فحسب، بل إنها رسالة ذات قيمة كبيرة، وعلى القائمين على تخطيط نظمنا التربوية، تلافي القرارات، التي أثبت الواقع عدم نجاعتها، وعدم تماشيها وفق احتياجات المجتمع العربي وتطلعاته.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم، مجدي عزيز. **مهارات التدريس الفعال**. مكتبة الانجلو مصرية، ط1، 1997.
2. أولسن أدوارد. **المدرسة والمجتمع**. تعريب: زكي، أحمد. مؤسسة المطبوعات الحديثة.

[1] - عبد الدايم، عبد الله. **التربية في البلاد العربية**. ص 748.

[2] - العلوي، محمد الطيب. **التربية والإدارة**. ص 222.

[3] - الساحلي، محمد العزيز. **قضية التربية والتعليم من خلال فكر زعماء الإصلاح**. ص 138.

3. ابن خلدون. **المقدمة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، ط1، 1984.
4. ديوي، جون. **المدرسة والمجتمع**. ترجمة: حسن أحمد. بيروت: دار مكتبة الحياة.
5. الساحلي، محمد عزيز. **قضية التربية والتعليم من خلال فكر زعماء الإصلاح**. تقديم: محمد شاذلي نيفر، 1995.
6. العلوي محمد الطيب. **التربية والإدارة بالمدارس الجزائرية**. الجزائر. دار البعث للطباعة، 1982.
7. عبد الدايم، عبد الله. **التربية في البلاد العربية حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها**. بيروت: دار العلم، ط4، 1983.
8. غضاضة أحمد مختار. **التربية العلمية التطبيقية في المدارس الابتدائية والتكميلية**. لبنان: مؤسسة الشرق، ط3، 1962.
9. كبريت، سمير محمد. **منهاج المعلم والإدارة التربوية**. دار النهضة، ط1، 1998.
10. النجار، زغلول راغب محمد. **أزمة التعليم المعاصر**. الكويت: مكتبة الفلاح، ط1، 1980.